

جمهورية
«لله يا محسنين»إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

حين تجد العراقيين يُكثرُونَ من الترحم على العهود السالفة، بما فيها زمن صدام حسين وولديه، عدي وقصي، ومخابراته التي لم يخلق مثلها في البلاد، فإنك تدرك حجم إحساسهم بخيبة الأمل والغضب والقرق من حاضرهم التبعس، خصوصا حين يجدون حكومات عهدهم الديمقراطي الجديد تلهت وراء الدول المانحة لتتسول المساعدات الإنسانية والهبات والقروض، في ظل الوضع المردي، ماليا واقتصاديا وصناعيا وتجاريا وتعليميا وسياسيا، والتدهور والتفتت والتشرذم والفساد والفشل في جميع المجالات.

فالعراق الصغير الذي كان عزيزا ومقتدرا وغنيا، لم يعد عزيزا ولا مقتدرا ولا غنيا في ظل حكم الإسلاميين الشيعة ذوي الهوى الإيراني، وحلفائهم وشركائهم قادة الأحزاب الكردية الذين يتحملون، وحدهم، ثلاثة أرباع المسؤولية عما وصل إليه الوطن العراقي، من أول أيام الغزو الأميركي الذي نصبهم ملوكا وأباطرة بعد طول جوع وذل وهوان في دول اللجوء، وحتى اليوم.

الملوكة للدولة، عن تصدير 1.277 مليار برميل من النفط الخام في 2018، وقد ناهزت الإيرادات 83.7 مليار دولار.

ولكن حكام هذا العراق الديمقراطي الجديد يحتفلون ويبتهجون ويفخرون بالانتصار والفتح المبين حين يحصلون على تبرع، أو على وعد بتبرع من هيئة دولية، أو من مؤسسة غير حكومية، أو من إحدى الدول المسماة بـ«المانحة» أو «المقرضة».

وفي أول العام 2004 ذهب العراق إلى أول مؤتمر للدول المانحة في طوكيو، ممثلا بشخص رئيس جمهوريةه الحالي، الدكتور برهم صالح الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية يومئذ، برفقة وزراء المال والكهرباء والتخطيط والاتصالات، سعيا واستجداء للمساعدات والتبرعات والهبات والقروض.

وبعد مؤتمر طوكيو الذي صدق فيه قول المتنبئ «أنا الغني وأموالي المواعيد» لم يمر عام إلا والعراق ينظم في إحدى الدول الغنية الأوروبية أو الآسيوية أو الخليجية، وبأموال الشعب العراقي، مؤتمرا للدول المانحة، أو ندوة لتشجيع الاستثمار، دون أن يحصل على ما يحلم ويريد. ولعل آخر تلك المؤتمرات، وهو مؤتمر الدول المانحة في الكويت الذي عقد في شباط/فبراير 2018، كان أسوأ المؤتمرات وأكثرها تعاسة. فقد تعهدت دول المؤتمر بـ33 مليار دولار على شكل قروض وتسهيلات ائتمانية وهبات واستثمارات، ثم لم يتحقق من تلك الوعود إلا أن جمل، بالوقائع والأرقام والتواريخ.

وأخر الفضايح أن الأخ الأصغر، الكويت، يتبرع لأخيه الأكبر، العراق، بـ17 مولدة كهربائية، على أساس «ارحموا عزيز قوم ذل».

وأما الداعي لكتابة مقال اليوم فهو هذا الخبر المعيب:

«قالت الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في العراق، رئيسة بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، جينين هينيس-بلاسترات، في إحاطة قدمتها لمجلس الأمن الدولي:

«إن علينا أن نذكر أن التوترات الراهنة يمكنها بكل بساطة أن تتسبب في ضربة هائلة لجميع المساعي الوطنية والدولية الرامية لإعادة بناء عراق مستقر ومزدهر».

«لقد تم إحراز تقدم بفضل مساعدة الجهات المانحة. فقد تمت إعادة بناء المنازل والطرق والجسور وخطوط الكهرباء».

هذا مع التذكير بأن المعروف، عالميا، أن العراق يملك أكبر احتياطي نفطي في العالم بعد المملكة العربية السعودية، وأن احتياطيه النفطي يبلغ أربعة أضعاف الاحتياطي النفطي الأميركي.

ويحتاز نفط العراق بأن جميع حقوقه موجودة في اليابسة، لذلك فإن تكاليف إنتاجه تعد الأقل في العالم، إذ تتراوح بين 0.95 و1.9 دولار للبرميل الواحد، مقارنة بكلفة إنتاج البرميل في بحر الشمال التي تصل إلى عشرة دولارات.

كما أن في العراق جميع أنواع النفوط، الخفيف والمتوسط والثقيل. وكان العنصر البشري العامل في قطاع النفط العراقي، أيام العز والخير والهناء، يوصف بأنه من بين أفضل العناصر كفاءة في الشرق الأوسط.

فهل من معترض، إذن، على أن نسمي دولة عراق اليوم بأنها جمهورية «لله يا محسنين»؟

فالعراق جميع أنواع النفوط، الخفيف والمتوسط والثقيل. وكان العنصر البشري العامل في قطاع النفط العراقي، أيام العز والخير والهناء، يوصف بأنه من بين أفضل العناصر كفاءة في الشرق الأوسط.

فهل من معترض، إذن، على أن نسمي دولة عراق اليوم بأنها جمهورية «لله يا محسنين»؟

فالعراق جميع أنواع النفوط، الخفيف والمتوسط والثقيل. وكان العنصر البشري العامل في قطاع النفط العراقي، أيام العز والخير والهناء، يوصف بأنه من بين أفضل العناصر كفاءة في الشرق الأوسط.

فهل من معترض، إذن، على أن نسمي دولة عراق اليوم بأنها جمهورية «لله يا محسنين»؟

فالعراق جميع أنواع النفوط، الخفيف والمتوسط والثقيل. وكان العنصر البشري العامل في قطاع النفط العراقي، أيام العز والخير والهناء، يوصف بأنه من بين أفضل العناصر كفاءة في الشرق الأوسط.

فهل من معترض، إذن، على أن نسمي دولة عراق اليوم بأنها جمهورية «لله يا محسنين»؟

فالعراق جميع أنواع النفوط، الخفيف والمتوسط والثقيل. وكان العنصر البشري العامل في قطاع النفط العراقي، أيام العز والخير والهناء، يوصف بأنه من بين أفضل العناصر كفاءة في الشرق الأوسط.

فهل من معترض، إذن، على أن نسمي دولة عراق اليوم بأنها جمهورية «لله يا محسنين»؟



أحلام الوحدة بين السودان وجنوب السودان

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

لم ينته السودان من ترتيب أوراقه بعد الإقصاء الدرامي للرئيس عمر حسن البشير حتى داهمه البعوض بحدث عن استعادة الوحدة المفقودة مع دولة جنوب السودان، وكان الانفصال القسري الذي حصلت عليه الثانية يمكن التخلص منه بجرعة قلم، أو أن المشكلات التي أفضت إليه انتهت برحيل البشير الذي لم يتخذ الخطوات الواجبة للحفاظ على السودان موحدا.

ربما يكون التفكير في إعادة اللحمة السياسية جاء تلميحاً على لسان قيادات تنتمي للحركة الشعبية-قطاع الشمال، لتبرئة الزمة من الاتهامات التي لا حقيقتهم بانهم وفروا الذرائع لانفصال جنوب السودان، وربما لإثبات انتمائهم لسودان واحد وعدم النكوص بالعهودات مستقبلا وللحاق بقطار الجنوب، وتأكيد أنهم جزء من الجسم السوداني الوطني بعد تصاعد حدة الخلافات بين الجبهة الثورية، وتضم ثلاث حركات مسلحة، مع قوى الحرية والتغيير.

وربما يحلو لهؤلاء التفكير بصوت عال لحل أزمة تناقض الولاءات بين الشمال والجنوب.

يفتقر الحديث للمنطق السياسي المحكم في هذا التوقيت، فلم يبق السودان من تداعيات عزل البشير وتشكيل دواليب السلطة الانتقالية حتى الآن، كي يدخل نفسه في متاهة جديدة تؤدي إلى خلط الأوراق، وتسمح للمترصين به في الداخل والخارج بالتشويش على مجلس السيادة والحكومة الجديدين وشغلها بقضايا يحثان النظر فيها لدولة قوية وسلطة متمرسة وأقدام راسخة في الأرض وعقل وقلب الشعب.

يملك حديث الوحدة شجونا متشعبة، ويستحوذ على وجدان شريحة كبيرة من المواطنين، لأنه يؤكد تمسكهم بدولتهم الكبيرة، ويوحى أن الانفصال وقع وسط ظروف معينة كانت مرفوضة من القوى الحية، وحصل برغبة حزب المؤتمر الوطني للحفاظ على وجوده في الحكم، فخرس السودان جنوبه وخسر الحزب ورئيسه الحكم، بل يتعرض الكثير من رموز النظام السابق لملاحقات قضائية متعددة.

مضت التلميحات العاطفية والتطلعات الخيالية لاستعادة الوحدة عن قصد أو دونه، ولم تشغل بال النخبة السودانية أو تتوقف عندها أحزاب مؤثرة، فهي منخرطة في بناء توازنات جديدة تشمل جميع القوى السياسية وتهضم داخلها كل العناصر المسلحة، باستثناء من ارتكبوا جرائم وفسادا خلال عهد البشير، وهمومة بالتأسيس لدولة مدنية تستمد عافيتها الحقيقية من إعلاء قيمة المواطنة، كعنصر قادر على جعل السودان واحة سياسية

زاخرة بالديمقراطية والحياة العصرية. من هذا المنطلق يمكن تحاشي الأخطاء التي أفضت إلى سلخ الجنوب عن جسد الشمال.

مر الانفصال بمجموعة من العقبات السياسية والتحديات المسلحة مهدت الطريق إليه، وحلت أزمة الإزدواجية التي خيمت على شخصيات نادت بسودان جديد خال من التفرقة العنصرية والتمييز بين المركز والأطراف في الثروة والسلطة، وفرضت على قوى إقليمية ودولية تاييده بحجة وقف الحرب الأهلية ودعم خيار تقرير المصير كحق من حقوق الإنسان.

بصرف النظر عن الرمالي المعلنه والخفية التي قادت إلى استقلال الجنوب، فإن توجهات الخرطوم منذ ثلاثة عقود فتحت الأبواب الموصدة للانفصال، وساهمت في تفكيك أواصر الوحدة، وحملت مضامين بعدم استبعاد تفكيك السودان وتشريده، إذا كان الثمن الحفاظ على بقعة صغيرة من الأرض يقيم عليها البشير ورفاقه حكمهم الإسلامي.

أخفقت الدولة الوليدة في علاج جراحها، وغرقت هياكلها ومؤسساتها في دوامة من الحرب الأهلية أشد وطأة، ودخلت قواها السياسية وجماعاتها المسلحة في معارك ضارية بعد مضي حوالي أربعة أعوام فقط على الاستقلال، ولا تزال تكاد لأجل تحقيق السلام، ما أفقدها البريق الذي صاحبها كدولة واعدة في شرق أفريقيا.

أفلحت السلطة الانتقالية الحالية بالسودان في منح أولوية للسلام الشامل في البلاد، وأكدت الرغبة العارمة بعدم التفرط في أي من الأقاليم التي تقف شاهداة على الاقتتال بين القوات الحكومية وفضائل مسلحة في الشرق والغرب والجنوب. وبعثت برسائل لمن يهمهم الأمر أن التفريط السابق كان وبالا على السودان شمالا وجنوبا، لأنه اقتنع جزءا غالبا من أرضه، وخسرت بموجبها البلاد نحو 75 بالمئة من مواردها النفطية، كانت من بين الأسباب التي أفضت إلى احتدام الأزمة الاقتصادية.

تبدو هذه الزاوية قفيلة لدى البعض للعزف على الأوتار العاطفية للوحدة، باعتبارها المنقذ الذي يعيد للسودان ما فقدته من ثروة مادية، لكنها تتجاهل الأمراض الرئيسية التي لم تبرح الشمال، ويعاني من ويلاتها الجنوب الذي لا يبريد بالطبع الهروب من أزماته إلى الأمام.

إذا كانت القوى السياسية الفاعلة فشلت في واد الحرب وتنفيذ بنود السلام، فهل تستطيع الوصول لهذا الهدف

وثمة قوى متنافرة ومتناحرة ولم يستقر قوامها المركزي على حال؟ يتجاوز اللامنطق في استعارة بعض المسلمات الدافعة للوحدة الحدود المتعارف عليها سياسيا، لأنه يخلق باب التفكير في الواقع الملبد بالغيوم

بالتفكير في الواقع الملبد بالغيوم، ويجر الناس إلى الاجتهاد في معان «طوباوية» من الصعوبة استحضرها على الأقل في هذه اللحظات، استنادا إلى محاولات يبذلها رئيس جنوب السودان، سيلفا كير ميارديت، بشأن التفاهم بين قوى إعلان الحرية والتغيير من جهة، والجبهة الثورية من جهة ثانية، ومرجح أن تنتقل إلى عقد جلسات حوار بين الأخرى

والحكومة الانتقالية بعد إعلان تشكيلها الوزارية، ليس سعيا للوحدة الجاذبة، لكن لتعميم السلام في السودان.

يقود النجاح إلى الحفاظ على الحد الأدنى من الهوى في الجنوب وضمان الاستقرار إلى سلام مستقر لا يعني أن ينعكس سلبا على المحيط الجغرافي، وفي مقدمته دولة جنوب السودان التي تريد تأكيد دورها واستقلالها بالوساطة النشطة بين القوى المختلفة، وعدم الوصول إلى سلام مستقر لا يعني أن الطريق مهمل لمروحي استعادة الوحدة بالشعارات.

هناك طريق واحد يمكن أن يسلكه الشمال والجنوب معا، إذا نجح كل منهما في تحقيق قدر أوفر من الاستقرار والتقدم خلال الفترة المقبلة، وهو الوحدة على أساس كونفدرالي وليس اندماجيا، فقد سبق الوقت للكلام عن النوع الثاني.

على كل طرف النجاح السياسي والاقتصادي والأمني والحفاظ على الدولة متماسكة وبعيدة عن التهديدات الاستراتيجية. ربما تخرج من رحم كليهما قيادات تؤمن بأهمية الوحدة الطوعية، ما يصب في مصلحة الطرفين.

ينسجم هذا السيناريو مع تطلعات إيجابية تسود في المنطقة، تعلق من دور العلاقات المنبثقة من رحم التعاون والتنسيق لنشر السلام وشيوع التنمية بين دولها. ليس صدفة أن جميع المقاربات لحل الأزمات في الدولتين خرجت من دول مجاورة.

يهمها الاستقرار كسبيل لتعزيزين أواصر العلاقات وبناء وحدة تكاملية تجني من ورائها دول المنطقة مكاسب عديدة.

لذلك سوف يظل الحالون بعودة الجنوب إلى حضن الشمال أو العكس من دون تقدم ملموس، لأن الأجزاء العامة تجاوزت هذه القضية، وتفرض مراعاة الواقع وتعقيده بدقة وفهم

نواميس الوحدة المعاصرة بمروحة ثقافية واسعة، كي خطوة للأمام على مستوى التناصير لعلاقة متينة بين السودان كمركز، ودولة جنوب السودان كهامش.

واسعة، كي خطوة للأمام على مستوى التناصير لعلاقة متينة بين السودان كمركز، ودولة جنوب السودان كهامش.

واسعة، كي خطوة للأمام على مستوى التناصير لعلاقة متينة بين السودان كمركز، ودولة جنوب السودان كهامش.

واسعة، كي خطوة للأمام على مستوى التناصير لعلاقة متينة بين السودان كمركز، ودولة جنوب السودان كهامش.

واسعة، كي خطوة للأمام على مستوى التناصير لعلاقة متينة بين السودان كمركز، ودولة جنوب السودان كهامش.

واسعة، كي خطوة للأمام على مستوى التناصير لعلاقة متينة بين السودان كمركز، ودولة جنوب السودان كهامش.

واسعة، كي خطوة للأمام على مستوى التناصير لعلاقة متينة بين السودان كمركز، ودولة جنوب السودان كهامش.

